

الخير في تعلم القرآن وتعليمه لا مجرد حفظه وتحفيظه

بسم الله الرحمن الرحيم

أ) روى البخاري في صحيحه أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وامتبعي سنته - قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفي رواية له: [] «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

وفقه أصحابه رضي الله عنهم شرع الله وسنة رسوله فكانوا لا يتعجلون مجرد التلاوة دون تدبر، بل كانوا لا يجاوزون عشر آيات حتى يعلموا معانيهن والعمل بهن (رواه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه). ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ختم القرآن في أقل من سبع (عند الشيخين) وثلاث (عند غيرهما) لأنه لن يتحقق تدبره وفقهه في أقل من ذلك.

ب) وأنزل الله كتابه على قلب نبيه مرفقاً رحمةً لعباده ونوراً لهم: {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29]. واستعجل المشركون التنزيل جملة واحدة فرد الله كيدهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ جَمْلَةً وَاحِدَةً لَكَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} {الفرقان: 32} أي: بيناه تبييناً (قتادة) بتنزيله شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة (المحلي).

واتبع النبي صلى الله عليه وسلم شرع ربه فرتل القرآن ترتيلاً؛ يقف على رؤوس الآي (أبو داود وغيره) ولم يرو عنه الجمع بين آيتين قط. وكان (فيما رواه مسلم في صحيحه) يقرأ القرآن (متراً) إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ، ولما يصح قصر ذلك على صلاة الليل بل هو عام في الصلاة وفي غيرها، إن لم يرد مخصص.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «أمين» بعد قراءة الفاتحة (رواه البخاري) ويأمر المأمومين بقولها [متفق عليه]، وكان إذا قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: 40] قال: «سبحانك فبالى» وإذا قرأ: {سُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1] قال: «سبحان ربي الأعلى»؛ قال المحدث الألباني في (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم): (وهو يشمل القراءة في الصلاة وخارجها والمنافلة والمفريضة، وقد رواه ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري والمغيرة أنهما كانا يقولان ذلك في المفريضة، ورواه عن عمر وعلي رضي الله عنهما إطلاقاً). وكان صلى الله عليه وسلم: (يمد: قراءته مداً، يمد: بسم الله، ويمد: بالرحمن، ويمد: بالرحيم)، (البخاري). وكان يقرأ قراءة: (مفسرة حرفاً حرفاً) رواه أحمد وأبو داود.

ج) وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحدث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم» والمفضل لمسلم، وفي رواية: «لا يجاوز تراقيهم» وفي رواية: «ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولما صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولما صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم» من صحيح مسلم. فمجرد التلاوة والحفظ دون تدبر (وهو أكبر هم الحفاظ والمحفظين اليوم) مخالف لشرع الله ولسنة رسوله وليسبيل المؤمنين المقدوة، لجأ إليه الأعاجم بمسوخ العجمة، وتبعهم العرب في القرن الأخير دون مسوغ. د) وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يتعجلون حفظ القرآن (وهو نافلة) دون تدبره (وهو فرض عين)، بل ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يحفظ القرآن من الصحابة غير أربعة على اختلاف في أسماء اثنين منهم، وبمجموع الروايات لا يكاد الحفاظ من الصحابة يتجاوز عددهم العشرة، ووصف غيرهم بالقراء لا يعني حفظه كله بل تدبره بدليل حديث الصحيحين هذا.

ويؤيد ذلك ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله: (إنَّ صَعْبَ عَلَيْنَا حِفْظَ الْقُرْآنِ وَسَهْلٌ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِهِ،

وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به). الجامع لأحكام القرآن (1/75).
ومثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من قوله: (كان المفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن). الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1/76).

هـ) وكانوا يحذرون مما آل إليه الحال اليوم في جميع بلاد المسلمين عرباً وعجماً؛ فقد أمر عمر رضي الله عنه عامله في العراق أن يفرض للحفاظ في الديوان، فلما بلغه أن سبعمائة حفظوا القرآن قال: (إني لأخشى أن يُسرَّعوا إلى القرآن قبل أن يتفقوا في الدين) وكتب إلى عامله ألا يعطيهم شيئاً (عن مالك في العتبية). وكانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن ثم يتعلمون القرآن (صحيح ابن ماجه). (وتنزل السورة فيتعلمون حلالتها وحرامها وأمرها وزاجرها). (بيان مشكل الآثار للطحاوي (4/44) عن ابن عمر رضي الله عنهما). حتى لقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1/76)، ط: دار الكتاب العربي بيروت).

و) قال الحسن البصري رحمه الله: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً). (مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/187) مكتبة الرياض الحديثة).

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (وَمَنْ هُمْ أَمْ يُونِ لَأَيَّ عِلْمٍ مِّنَ الْكِتَابِ إِلَّا أَمَانِيٌّ) [البقرة: 78]: (ذم الله المحرفين لكتابه والأمينين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأمانى بدائع التفسير (1/300). وذكر الشوكاني رحمه الله من تفسيرها: (لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون فهم وتدبر فتح المقدير (1/104)، وهو غاية سعي جمعيات تحفيظ القرآن مع جمع التبرعات).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [البقرة: 121]: قال ابن مسعود رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقراه كما أنزله الله ولما يحرف الكلم عن مواضعه ولما يتأول منه شيئاً على غير تأويله)، وعن عمر رضي الله عنه: (هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها).

ولم يفسرها أحد من الفقهاء في الدين بالتجويد أو الحفظ مجرداً عن التدبر.
وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [المزقان: 30]: (هجر القرآن أنواع)، وذكر منها: (هجر تدبره وتفهمه ومعرفة مراد الله منه) (بدائع التفسير). وقال ابن كثير: (وترك تدبره وتفهمه من هجرانه) (مهذب تفسيره، ط: دار السلام، ص 678).

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هَدَايَ فَالْآيَاتُ لِلشَّاقِيْنَ) [طه: 123]: (وهذه المتابعة هي التلاوة التي أثنى الله على أهلها... فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة، وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع... والمقصود التلاوة الحقيقية وهي تلاوة المعنى واتباعه... وتلاوة المعنى أشرف من تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة) (مفتاح دار السعادة (1/42) مكتبة الرياض الحديثة).

وقال ابن القيم رحمه الله: (فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وحلاوة القرآن)، وروي عن أيوب عن أبي جمره قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: (لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كما تقرأ) (1/187).

وقال ابن تيمية رحمه الله: (والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين). (مجموع الفتاوى (23/55).

ويظهر من مجموع هذه الآثار والأقوال أن المانحرف عن شرع الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين بالانشغال بحفظ القرآن عن تدبره وفهمه مراد الله منه ظهر في القرن الأول فتقرب من لم يجاوز القرآن تراقيهم إلى الله بالخروج على ولادة الأمر منهم بل قتل خير أولياء الله: عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتقرب المحدثون منهم بالخروج على

ولما أمرهم وقتل أنفسهم وقتل نفوس حرم الله قتلها بغير حق. والميوم تأس تدر عواطف المحسنين بتحفيظ القرآن أو الحديث في (60) يوماً فماذا بعد؟

ز) وبعث الله دولة التوحيد والسنة ومنهاج النبوة في الدين والدعوة لتجديد دينه بالعودة به إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (بعد أن اجتالت شياطين الفاطميين والعثمانيين ومن بينهما الناس عن الفطرة التي فطرهم الله عليها) فاهتم علماءها بتعليم الأمة دينها الحق وردّها إلى تدبر القرآن، ولم يهتم أحد منهم بمجرد الحفظ والتحفيظ الذي هو مبلغ علم وتعبد الجاهلين من عوام العجم ثم العرب. وجاء ما يسمى (المصحوة الإسلامية) التي غلب عليها الفكر والعاطفة والمشكّل وذات عن علوم الشريعة وعلمائها فانتشرت بدعة التحفيظ المجرد عن التدبر والتفقه في الدين تحت أسماء: (مكتبات المساجد)، (دور القرآن)، و(جمعيات التحفيظ)، و(جمعيات المحافظة على القرآن). وركبها الحزبيون والحركيون والمجاهديون في سبيل الهوى، وجامعوا التبرعات لأغراض شتى؛ أكثرهم يحسبون أنهم مهتدون ولكنهم مخالفون لشرع الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين في الدعوة إلى كتاب الله والعمل به.

واختار ولما الأمر في دولة التوحيد والسنة (بتوفيق الله لهم) إنشاء مدارس باسم تحفيظ القرآن على منهاج النبوة تقدم لأبناء وبنات المسلمين العلوم الشرعية أولاً، وثانياً حفظ القرآن (على مكث) [الإسراء: 106] بحيث يتعلم المفضل الإيمان ثم يتعلم القرآن كما فعل الصحابة رضي الله عنهم. وفيما يتعلق بحفظ القرآن فإنه يتم في تسع سنوات (ابتدائية ومتوسطة) وتخصص السنوات الثلاث الأخيرة (الثانوية) لمراجعة الحفظ.

واليوم بفضل الله توجد في المملكة المباركة (حسب إحصائية تلقيتها من وزارة التربية والتعليم عام 1428): (850) مدرسة للبنين و(1015) مدرسة للبنات يتعلم فيها: (124,627) طالب وطالبة إضافة إلى حلقات التحفيظ الاختيارية التي تقدمها جميع مدارس الوزارة الأخرى ضمن النشاط المدرسي الإضافي، ولما يقل عدد المشتركين فيها عن عدد طلاب مدارس التحفيظ الحكومية. فلم تعد هناك حاجة لجمعيات التحفيظ المبتدعة. وفي مدارس التحفيظ وحلقاته التابعة لوزارة التربية والتعليم ما يكفي لتحقيق طموح الناشئ لتعلم القرآن تدبراً وفقهاً ثم حفظاً ويغني عن جمعيات التحفيظ المجرد من التدبر التي ابتدعها عابد باكستاني جاهل بشرع الله فتلقفها في المملكة المباركة العاطفيون والحركيون والحزبيون. وفي المدارس الحكومية يسهل الإشراف المباشر عليها لتجنب أو تقليل ما يجب الحذر منه من معاصي الشبهات والشهوات التي عانت منها أجهزة الأمن وهيئات الأمر والنهي. أما البدعة الجديدة: حفظ القرآن أو الحديث في (60) يوماً فمجانبة للشرع والمعقل. (1428هـ).